الإعلام الانكلوسكسوني المعرب وجدلية اللغة والثقافة:
حالة "بي بي سي عربي".

دة. سارة الصاخي
باحثة حاصلة على الدكتوراه في علوم الإعلام والتواصل
المملكة المغربية

الملخص:

سعيت من خلال هذه الورقة البحثية للخوض في محددات الابعاد الثقافية للمحتوى الإعلامي الانكلوسكسوني الناطق بالعربية، وإبراز مدى تأثير مرجعيته اللغوية الأصل في إنتاج محتوى ثقافي معرب، من خلال تسليط الضوء على الجدلية القائمة بين اللغة والثقافة. إذ لا يمكن تصور هوية ثقافية دون حضور للغة، ليست فقط من منطلق اعتبارها أداة للتخاطب والتواصل، وإنما أيضا لما تحمله من رموز لسانية واجتماعية ونفسية وتاريخية يصعب فصلها عن النسيج الثقافي لجماعة بشرية ما، خاصة وأن هذا المحتوى الإعلامي فرض نفسه في المنطقة العربية من خلال اعتبارات تاريخية وجيوسياسية طبعت العلاقة بين الثقافتين الانكلوسكسونية والعربية.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الثقافة، الاعلام الانكلوسكسوني، بي بي سي عربي.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مقدمة:

تحتاج الأخبار والمعلومات دوما لقناة ناقلة لها إلى الجمهور المعني بمتابعتها ضمن الإطار العام للتلقي، أو في حالة التتبع المتخصص للمحتوى المنشور، وفق قواعد البث الخاصة من مجال إلى آخر، بحكم اختلاف القنوات والأساليب واللغات الموظفة في تلك العملية المركبة. ويزداد الأمر تشعبا عندما يكون الخبر ينتمي لحقل معين ودقيق، سواء في الحقل الإبداعي أو النقدي. لهذا، فاللغة تتقدم أهم الأدوات المشكلة للخطاب الإعلامي، وبصفة أخص عندما يوجه إلى جمهور لا يشترك مع مُرسِلِه السمات الثقافية نفسها، خاصة إذا كان الاختلاف بينهما على مستويات متعددة: الجغرافيا، والتاريخ، واللغة، والمعتقد الديني ... إلخ. عندها يتجاوز التبادل والتواصل، على أرضية الخبر، معناه الأولي المتعلق بالمعلومة إلى التأثير والتوجيه وصناعة الرأي العام. تقول "**كلير كرامش**" في هذا السياق: "اللغة هي الوسيلة الرئيسة التي ندير بها حياتنا الاجتماعية، وعندما تُستَخدَم اللغة في سياقات التواصل تنعقد الصلة بينها وبين الثقافة في نواح كثيرة ومتشابكة".[1]

إذن، فما الخصوصية التي يمكن أن نجدها في تجربة البث باللغة العربية من طرف مؤسسة أجنبية كـ"بي بي سي عربي"؟ وما دور اللغة الإنجليزية في هذا الإطار، باعتبارها العنصر الهوياتي المؤسس لتصور جهة الناشرة؟

I- اللغة والثقافة وتجاذب أولويات الإعلام:

نستحضر هنا السياقات المواكبة للخطاب الإعلامي المبني على تلازم اللغة والثقافة، من خلال كتاب المؤرخ والباحث في قضايا الإعلام العالمي "هيندي دافيد" «**Hendy David**» هو الذي اختار العنوان التالي: " **بي بي سي، تاريخ شعب**" [2] «**The bbc, a people's history**» عتبة أولى لمؤلفه حول مسار هيئة الإذاعة والتلفزة البريطانية المعروف اختصارا بـ "**بي بي سي**" «**BBC**»، وهو توجه يعكس رؤية صاحب المؤَلّف إزاء فعل إعلامي وتجربة سمعية بصرية رائدة على المستوى الكوني لا ينفصل أداؤها عن رؤية فكرية وثقافية لمساحات تلقي والتقاط بثها، مما جعلها لزمن طويل تشكل مرجعا أساسيا في قواعد إعداد الخبر ونشره بمختلف اللغات، لاسيما خلال فترة ما قبل الثورة الرقمية، خلال الحقبة الذهبية للإذاعة والتلفزيون.

تحتل اللغة مقدمة العناصر المشكلة للثقافة لأن "اللغة هي قدر الإنسان الاجتماعي، فكما تكشف عن طبقته وجذور نشأته، تكشف – أيضا – عن عقليته وقدراته وميوله الفكرية. وكما أن اللغة ظاهرة وشائعة، فهي – بالقدر نفسه – دفينة ومستترة، غائرة في ثنايا النسيج الاجتماعي ومتاهة العقل البشري، تمارس سلطتها علينا من خلال أياديها الخفية، تعمل عملها في طبقات اللاوعي على اختلاف مستوياته: من اللاوعي الفردي النفسي إلى اللاوعي الجمعي التراثي والسياسي".[3]

وبالنظر لتاريخ علاقة المملكة البريطانية بمنطقة الشرق الأوسط، نجد أنها مبنية على خيارات استراتيجية أكبر من مجرد سياسات مرحلية، من قبيل ما فعلته عند تقسيم بلدان الشرق الأوسط بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية، واستحواذها على بلدان ما بين النهرين (الأردن وفلسطين)، وبالمقابل تركت لفرنسا، حليفتها بعد الحرب العالمية الأولى بلاد الشام. وهو ما نجد آثارها واضحة إلى الآن، إذ تبقى لبنان فضاء للفرنكوفونية في الشرق الأوسط وتجسيدا لبرامجها الثقافية، سواء عبر المؤسسات العلمية الأكاديمية أو عبر

---

[1] – كلير كرامش: "**اللغة والثقافة**"، ترجمة أحمد الشيمي، منشورات وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، الطبعة 1، 2010، ص 15.

[2]– HENDY David: «**the BBC, a people's history**», Profile Books, Great Britain, First published, 2022.

[3] – نبيل علي: "**الثقافة العربية وعصر المعلومات**، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي"، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد **265**، بتاريخ: يناير 2001، ص 231-232.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المنصات الإعلامية والصحافية الصادرة بلغة موليير، متجاوزة وظيفتها التواصلية التقليدية، لأن "اللغة، قديما وحديثا، تمارس سلطتها علينا، سواء بسحر أساطيرها، أو ببلاغة خطبائها، أو بتضليل إعلامها وزيف إعلانها، ولكنها – أيضا – وسيلتنا المثلى لتحطيم القيود وتحرير الفكر والتصدي للجائر والزائف والجامد والتابع والناقل، وغير ذلك من غير الصحيح وغير الأصيل وغير الأخلاقي. فمن خلال مجازها، تحررنا من أسر الكلمات والمعاني السائدة، ومن خلال ابتكاريتها، تجعل من الإبداع حقا مشاعا للجميع، ومن خلال مرونتها، نكتسب قدرة التعامل مع تناقضات الواقع ومتغيراته".[1]

إن تأثير التحولات السياسية على الاختيارات الثقافية لا تكاد تغيب عن كثير من القرارات التاريخية الاستراتيجية التي حكمت علاقة الغرب بالشرق، خاصة عند الحديث عن العلاقة بين الغرب (أمريكا–أوربا) والشرق العربي، إذ ساهمت التحولات السياسية التي تلت الحرب العالمية الثانية ورافقت تداعيات الحرب الباردة بين القطبين الغربي والسوفياتي إغلاق العديد من خدمات اللغات الأوروبية بمؤسسات إعلامية، وإعادة ترتيب أولويات المناطق ووسائل الإعلام بالمعسكرين معا، لا سيما مع توجه الإعلام الغربي وتوسيع خدماته للبث باللغة العربية بعد سقوط جدار برلين، الذي ترسخ مع تأسيس قناة بي بي سي عربي سنة 2008، وباللغة الفارسية بعد ذلك بسنة واحدة (2009)، وكأن هذه المؤسسات الغربية ترعى المجتمعات العربية وتواكب تحولاتها عن طريق توظيف عنصر اللغة الأم، التي "ترعى كل ناطق بها وكأنه طفلها الوحيد والأثير، تزهو وتنمو إن تمرد عليها شعراؤها، ولا تضيق ذرعا بصرامة علمائها، وتغفر للعامة تجاوزها، ولا تحرم النخبة من تميزها".[2]

تحتفظ اللغات كلها بخصوصياتها ومدى استيعابها من طرف الناطقين بها، نظرا لوجود عناصر مختلفة هي التي تحدد قدرة اللغة على التوسع والانتشار وضمان البقاء قبل ذلك، كمخارج الأصوات، والتنغيم، وقربها أو بعدها من اللغة الأم ودرجة الفجوة اللغوية واللسانية التي حصلت بينهما، وحجم وقيمة الإنتاج الإنساني والإرث الثقافي الذي تعرضه في مساحات تداولها، ووفق المعايير الإنسانية الكونية، سواء باعتبارها لغة محلية محدودة، أو تتجاوز الجغرافيا وحدودها المادية إلى ما هو شامل لأعراق وثقافات معينة، وهو ما وعت به هيئة الإذاعة البريطانية عند اختيارها أن يبث الخبر بلسان عربي وليس مستعربا، لدرجة أن "أصبحت أسماء الكثير من هؤلاء الإعلاميين مألوفة في المنطقة. إن الدور الرئيسي الذي لعبوه في الشركة يحمل أهمية إبداعية ودبلوماسية ملحوظة. في حين أن المهمة الموكلة إليهم بموجب القانون هي عكس المملكة المتحدة وثقافتها وقيمها وبث خدمة متوازنة وموضوعية للأخبار العالمية لصالح مستمعيهم، إلا أنها مجرد تقييم متعمق للإنتاج الذي ينتجونه ويبثونه عبر الإنترنت، يمكن أن تشهد العقود على مدى مساعدتها في إنشاء وتجديد مكانة المؤسسة ومكانتها باعتبارها هيئة البث الدولية الأكثر مصداقية وجاذبية في العالم".[3]

ويتعاظم دور آلة اللغة في السياق الإخباري والتواصلي مع التهديم الذي عرفه مفهوم الجغرافيا والحدود مع الثورة التكنولوجية وتطور شبكة الأنترنيت وانعكاس ذلك على سرعة تداول المعلومات وصناعة المعرفة، مما جعل التقاسم الإنساني للمحتوى يزداد ايقاعه ويتضاعف حجم تبادل مضامينه، بما يعنيه من تزايد في نسبة تلقيه وعدد جماهيره، لأن "**رقي** المجتمعات وتخلفها لا يتوقف

---

[1] – نبيل علي: "**الثقافة العربية وعصر المعلومات**، مرجع سابق، ص 266.

[2] – نفسه، ص 232.

[3]– Houcine MSADDEK: "**BBC Arabic (1938–1995): Soft Power or Reithian Practice Abroad?**", Centre de recherche et d'études en civilisation britannique, mise en ligne le: 05 Décembre 2020, version Electronique: https://journals.openedition.org/rfcb/7056, visite le: 05 Janvier 2022, P: 1-2.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

على بنية اللغة، بل يتوقف على استخدامها من قبل الجماعة الناطقة بها، فمستوى تقدم مجتمع ما، تحدده – حاليا – أنواع خطاباته ومدى شفافيتها".[1]

II- اللغة الإنجليزية والثقافة العربية:

تُسجل مجلدات تاريخ الإعلام في العالم أن انطلاق بث القسم العربي لإذاعة "بي بي سي" كان سنة 1938، واعتبرت تلك العملية، بناء على ذلك أول خدمة إذاعية بلغة الضاد تصدر من خارج جغرافيا الأمم العربية وتتوجه إلى الجمهور العربي، ليشتد عودها وتصبح هيئة الإذاعة البريطانية، بعد ثمان (8) عقود، أول منصة ثلاثية الوسائط (تلفزيون، إذاعة، موقع إلكتروني)، حيث أعطيت انطلاقة القناة العربية لـ"بي بي سي"، وتساهم في انتشار أسلوب للإخبار مبني على قواعد مهنية شبه موحدة، على المستوى النظري، بين مؤسسات الإعلام وتشريعات حقوق الإنسان وحرية التعبير وفق المدرسة الأنجلوساكسونية.

ويستدعي الحديث، في هذا السياق، عن علاقة اللغة الإنجليزية بالثقافة العربية عبر مختلف الحوامل والدعامات التي تستهدف الجمهور العربي، استحضار العلاقة التاريخية بين طرفي عملية التبادل الثقافي هاته، سواء كان من منطلق حر وإرادي، كما هو في الوضع السليم المبني على احترام الآخر وتكريس التعددية الثقافية، أو في حالة النظرة الاستعمارية المثقلة بهواجس وأحلام السيطرة واستنزاف الموارد واستعباد مَوَاطِنِها، تنفيذا لما خلفه الفكر الغربي الاستعلائي، والاستشراقي، في المقام الأول.

وبما أن التنافس هو المحرك الحقيقي (الخفي أو المعلن) لاحتكار المعلومة وتوجيه الرأي العام، فإن اختيار محرري الرأي ومذيعيه بمختلف منصات النشر الإعلامي يبقى مسألة حاسمة في تحديد درجة استمرارية المؤسسة الإعلامية، وقد وعت بي بي سي بهذا التحدي واختارت في المراحل الأولى استقطاب رموز الخطاب الإعلامي، خاصة الإذاعي منها، نظرا لريادة هذا الشكل من العمل الصحافي عند بداياته في العقود الأولى للقرن العشرين، رغم محدودية تغطية شبكاته.

ويزداد الأمر تعقيدا عندما يتعلق الموضوع بالقضايا والمواضيع التي تمس العلاقات الدولية والديبلوماسية، على اعتبار أن "**بي بي سي**" ظلت تقدم نفسها بأنها مصدر الأخبار الموثوقة ونموذج المنبر الماسك بتقاليد الموضوعية والمصداقية، خاصة فيما يخص المصالح الاستراتيجية للملكة المتحدة في الشرق الأوسط الكبير، وهو ما تؤكده درجة الاهتمام السياسي والاستقرار الإداري للشبكة، مما ضمن لها الاستمرارية في البث دون انقطاع، إضافة إلى العامل الثقافي الذي يتجلى في فهم هيئة الإذاعة البريطانية منذ البداية لسيكولوجيا المتلقي العربي الذي يولي اهتماما كبيرا بالثقافة الشفوية التي تنسجم مع نمط اشتغال الإذاعة والحواس التي تستدعيها.

وتشير واقعة إعلان "**جون ريث**" عن استراتيجية "بي بي سي" للبث باللغة العربية، واستقدامها لأسماء إذاعية من الوطن العربي للانضمام للطاقم الإعلامي العربي للشبكة، مدى الوعي المتقدم الذي ساد المؤسسات المشرفة على هذا الوسيط الإخباري خلال تلك المرحلة الاستعمارية التي كانت تباشر عمليات عسكرية وإدارية مباشرة على الأرض، ففي "4 يناير 1938، بعد إعلان باللغة الإنجليزية من قبل المدير العام جون ريث أعلن فيه أن خدمة اللغات الأجنبية ستكون دائما "موثوقة ودقيقة ومثيرة للاهتمام"، وهي قيم أصبحت مصبوبة فعليا في الحجر كنموذج ريثي للبث، ما يسمى بمقدم "الصوت الذهبي" أحمد كمال سرور أفندي، الذي تم تجنيده من الخدمة الإذاعية المصرية، تقديم أول بث للمؤسسة باللغة الأجنبية باللغة العربية والذي يتألف من نشرة إخبارية".[2]

---

[1] – نبيل علي: "**الثقافة العربية وعصر المعلومات**، مرجع سابق، ص 283.

[2] – Houcine MSADDEK: "**BBC Arabic (1938–1995): Soft Power or Reithian Practice Abroad?**", op, cit, P: 05.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

واستفادت انطلاقة "**بي بي سي عربي**" في هذا الاختيار الإعلامي من غطاء سياسي رسمي من مؤسسة التشريع بالمملكة البريطانية، الذي كان بمثابة جهاز رقابة غير إعلامي، مما يكشف أن هذه الإذاعة كانت بمثابة "ملحق" ثقافي ضمن البنية الإدارية لأجهزة الاستعمار البريطاني الدول العربية، خاصة مصر وفلسطين، إذ ينقل الباحث "**حسين مصدق**" أنه "في اليوم التالي، تمت مناقشة الحدث الذي استمر خمسة عشر دقيقة في مجلس العموم حيث تلقى ترحيبا حارا من النواب وأعضاء مجلس الوزراء. ومع ذلك، ثبت أن تلك النشرة الإخبارية الأولى ربما تكون الأكثر إثارة للجدل في تاريخ الدائرة. لقد أظهر بوضوح ألوان المؤسسة في تقديم شاهد منذ البداية لشهادة على الأخبار الوقائعية والنزيهة".[1]

ونجد في قائمة الأسماء الإعلامية التي استقدمتها إدارة الـ "بي بي سي" المذيع المصري "**أحمد سرور**"♣، نظرا لما كان يملكه من مؤهلات ضرورية للاشتغال بالمحطة الإذاعية، أولها انتماؤه لثقافة عربية تقع تحت الامتداد الاستعماري الإنجليزي، إضافة إلى تميزه من حيث التنغيم الصوتي، مما أهله ليقدم أول نشرة إخبارية باللغة العربية في افتتاح إذاعة بي بي سي عربي سنة 1938، دون نسيان أسماء أخرى دشنت العمل الإذاعي العربي للمحطة، حيث "في عام 1943 تم إرسال أحمد سرور إلى فرنسا كمراسل حربي. عرف الكرمي كمقدم للبرنامج السياسي "قول على قول" على مدى السنوات الثلاثين التالية. أما عيسى خليل صباغ (1917–2000)، فقد أسر مستمعيه العرب بصوته كمراسل حربي مؤثر. وسرعان ما هاجر إلى الولايات المتحدة حيث طلبت منه وزارة الخارجية بدء الخدمة العربية لصوت أمريكا، التي أدارها لأكثر من سبع سنوات قبل أن يتولى مهنة طويلة كمسؤول في الخدمة **الخارجية** الأمريكية ومبعوث خاص إلى المملكة العربية السعودية. استفاد استفادة كاملة من شهرته لإقامة علاقات شخصية مع الملك فيصل الذي سمعه على بي بي سي".[2]

إن الدافع وراء هذا الاختيار لم يكن مهنيا بالدرجة الأولى، بقدر ما كان الغرض منه هو تقوية الخطاب الإعلامي للشبكة، ومنحها المصداقية الكفيلة بضمان استمرارها منبرا للخبر، من منطلق أن هذا الأخير يصل المتلقي/المستمع ممن يشترك مع المذيع اللسان، والثقافة، والتاريخ.

عند البحث في هذا المحور، يتقدم الحقلين الأدبي والفني لائحة الحضور المشترك للسانين العربي والإنجليزي، منها ما هو مرتبط بالتأثير الذي خلفته ترجمة الأعمال الأدبية والفنية لرواد الفعل الإبداعي الإنجليزي في المسرح والأدب والسينما إلى اللغة العربية أو العكس، ومنها ما يتعلق بحركة هجرة المثقفين العرب، سواء في سياق المبادرات والاختيارات الفردية، أو في إطار المجموعات الأدبية والفنية التي نشأت تزامنا مع بدايات الانتشار الغامر للطروحات الفكرية والإيديولوجية والفلسفية التحريرية، وتنامي الحرب الباردة التي جاءت انعكاسا للتجاذب الثنائي بين القوتين الأمريكية والسوفياتية، فكانت اللغة إحدى الأسلحة التي وُظِّفَت في الطرفين معا.

---

[1]- Ibid; P: 05.

♣ **"بدأ أحمد كمال سرور أفندي (1910–1972) حياته المهنية كأحد الآباء المؤسسين للإذاعة الوطنية المصرية التي أنشئت بمساعدة هيئة الإذاعة البريطانية وغوليلمو ماركوني في عام 1934. شارك سرور، الملقب بـ "الصوت الذهبي"، شعبيته الواسعة مع مواطنه حسين الكرمي والفلسطيني عيسى صباغ، وكلاهما عمل معهما في القاهرة".**

أنظر: Houcine MSADDEK: "**BBC Arabic (1938–1995): Soft Power or Reithian Practice Abroad?**", Centre de recherche et d'études en civilisation britannique, mise en ligne le: 05 Décembre 2020, version Electronique: https://journals.openedition.org/rfcb/7056, visite le: 05 Janvier 2022, P: 06.

[2] - Houcine MSADDEK:, op, cit, P: 06.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

كما ساهمت الحركتين النقدية والإبداعية لتيار ما يسمى بالدراسات الثقافية، أو ما بعد الكولونيالية، في تجسير الهوة بين المثقفين في كلا "الضفتين"/اللغتين، ومكنت القارئ العربي من الاطلاع على ترجمات الأبحاث والأعمال النقدية الصادرة بلغتها الأم الإنجليزية، على غرار ما كان يقوم به الاتحاد السوفياتي، عبر ترجمة الأدب الروسي، في مختلف أجناسه، إلى اللغة العربية، وانعكاس ذلك على أشكال متعددة من الفعل الإبداعي، كالمسرح، والسينما، والرواية .... إضافة إلى انتشار تيارات نقدية لرواد المناهج النقدية بأروبا الشرقية.

ويدعو الباحث الإسباني "**بول كوغدو**" «**Paul Gourdon**» الدول الغربية، وتحديدا بريطانيا والولايات المتحدة إلى ضرورة مراجعة سياساتها اتجاه المنطقة العربية شرق المتوسط وجنوبه عبر استثمار محطات التحول الاجتماعي والسياسي التي تمر منها شعوبها بين فترة وأخرى، منطلقا من أهم حدث في القرن الحالي وهو أسماه الإعلام بالربيع العربي، معتقدا أنه "يمكن خدمة المصالح الغربية، على المدى الطويل، بشكل أفضل من خلال اتباع سياسة خارجية قائمة على القيم الحقيقية بدلاً من السياسة التقليدية التي استمرت لعقود من الزمن المتمثلة في دعم الطغاة الصديقين والمطيعين في حين بيعهم كميات كبيرة من الأسلحة لقمع شعوبهم التي جلبت الفوضى. وعدم الاستقرار والمعاناة الكبيرة لملايين الأشخاص في بلدان المنطقة. ويجب ألا نكرر أخطاء الماضي. وتعتمد حياة ورفاهية الملايين من الناس في المنطقة على ذلك".[1]

III- المحتوى الرقمي العربي لبي بي سي وصراع الريادة:

لا يمكن فصل السياق العالمي الحالي لبداية العقد الثالث من عمر هذه الألفية وما يشهده من أحداث وتحولات جذرية على مستوى العالم وانعكاسها على النظام العالمي وترتيبات المصالح بين القوى العالمية، من وباء كورونا، مرورا بالحرب الروسية الأكرانية، وصولا إلى حرب الإبادة الجماعية التي يقودها الاحتلال ضد الفلسطينيين في غزة وغيرها، ومسار التضييق المستمر على باقي سكان الأراضي الفلسطينية المحتلة بكامل أراضيها. إذ يصعب إلغاء هذه المستجدات على الساحة الدولية في أي دراسة علمية إعلامية حديثة تسعى إلى تفكيك وسائل الإخضاع والهيمنة وترويج الفكرة في صندوق المعلومة والخبر، وما تفرضه من أولويات على الأداء الإعلامي العالمي، خاصة بمنطقة الشرق الأوسط ومحيطه بجهاته الأربع.

وإذا عدنا إلى الأحداث التاريخية الكبرى التي شهدت حروبا مدمرة، على غرار الحربين العالمتين، نجد أن مؤسسة "بي بي سي" عموما كانت دائما تحقق مكاسب مهمة في ربحها للجمهور الباحث عن الدقة والمصداقية في نشر الخبر وتمحيصه، إذ عَرَفت إبان الحرب العالمية الثانية توسعًا هائلاً في البث الدولي لخدماتها وبرامجها الإذاعية، مع الزيادة في تغطية مناطق النزاع المشتعلة خلال حروب التحرير بالنصف الأول من القرن العشرين، مما جعلها تصل لأربعين (40) لغة ناشرة لأخبارها بحلول نهاية الحرب. لكن ذلك لم يمنعها من أن تكون خلال محطات تاريخية في موقع الدفاع بدل الإرسال، والتدقيق بدل الإيهام، كما في حالة الصراع الذي كان بين بريطانيا وألمانيا النازية إبان الحربين العالميتين الأولى والثانية، حيث "اجتذب البث الدعائي اللاسلكي النازي جماهير كبيرة في بريطانيا خلال الفترة المبكرة من الحرب. كما أنها ولدت قدرا كبيرا من الدعاية في الصحافة البريطانية، وبالتالي خلقت قلقا كبيرا في الدوائر

[1] - Paul Gordon: "**Great Britain and the Middle East: The rise and fall of a hegemonic power and the pursuit of eternal interests**", revue numerique (pdf): https://www.researchgate.net/publication/364234819, "Institute of Humanities", Université San Pablo, Espagne, Date d'édition: 28-Oct-2018, date de téléchargement: 05/04/2023, P: 490.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الرسمية. حتى في الأيام الأولى قبل الحرب التي كانت تخطط لها وزارة الإعلام، كان من المسلم به أن العدو سيحاول القيام بحملة دعائية مكثفة في بريطانيا من خلال البث والوسائل الأخرى، والتي سيكون من واجب الوزارة الجديدة مواجهتها"[1].

كان من الطبيعي أن تتغير المواقف الدولية ويعاد ترتيب العلاقات بين الأقطار بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، خاصة مع الاندحار الذي شهدته قوى وتقدم أخرى، ومنها المملكة البريطانية، إذ رغم أن "بريطانيا كانت واحدة من المنتصرين الثلاثة الرئيسيين في الحرب العالمية الثانية، والتي ضعفت بشدة بعد حربين عالميتين خلال عشرين عاما، فقد شهدت نفسها تتراجع لتصبح قوة عالمية من الدرجة الثانية"، ومع ذلك، فـ"بعد عام 1945، تزامنت المصالح البريطانية إلى حد كبير مع مصالح القوة العظمى الجديدة في أمريكا الشمالية في جميع أنحاء العالم وفي الشرق الأوسط، وبالتالي وجدت بريطانيا أنه من السهل إلى حد معقول اتباع سياسة خارجية كانت تبحث بشكل أساسي عن القيادة الأمريكية ودعمت الهيمنة الأمريكية والقوة الأمريكية".[2]

وكما هو مدون في التاريخ الحديث، فقد أسست الآلة الحربية الألمانية خلال صراعها مع خصومها الإقليميين والدوليين دراعا إعلاميا قويا تأسس على تمجيد العرق الألماني والاعتزاز بالقومية الجرمانية، وذلك في إطار تنويع أسلحة المواجهة مع خصومها بأروبا وأمريكا وحلفائهما بقارات العالم، "أكثر من أي نظام معتقد سياسي آخر في القرن العشرين، كانت الاشتراكية القومية الألمانية أيديولوجية سلبية، تم تعريفها بما وقفت ضده بقدر ما كانت تمثله. وبينما كانت تدافع عن حب العرق وحب الوطن، فقد وقفت ضد اليهودية وضد الماركسية باعتبارها الركيزتين التوأمين المفترضتين للتدهور العنصري والأممية المدمرة. ومع ذلك، خلال السنة والنصف الأولى من الحرب، تعطلت الدعاية النازية بسبب ميثاق هتلر وستالين الذي سلب الدعاة نصف ترسانتهم "،[3] لدرجة جعلت من نظام الحكم في عهد "هيتلر" شكلا غير مسبوق في النماذج السياسية الأوربية، وبالقدر ذاته، فقد أحاط نفسه باستراتيجية اتصالية عُرِفت في المعجم الإعلامي بـ"**البروباغاندا**" « **Propagande**»، التي وضع تصورها السياسي الألماني النازي "**بول يوزف غوبلز**" «**Paul Joseph Goebbels**»، رغم أن هناك من ينسب الفكرة في أصلها العام المنتمي لمجال العلاقات العامة إلى الباحث النمساوي "**إدوارد بيرنايز**" «**Edward Bernays**»، حيث "تتعامل الدعاية مع التلاعب النفسي لإنتاج تأثيرات نفسية على جمهور كبير على أمل تحفيز المواقف أو تعزيزها أو تغييرها، على أمل إنتاج بعض السلوك المرغوب. بالطبع يمكن تحديد السلوك بسهولة كافية، في حين أن المواقف أكثر صعوبة".[4] وعليه، فقد كان "إحساس النازيين حول إمكانات أجهزة الراديو صحيحة؛ فهو بالفعل أفضل وسيلة لبثّ وجهة نظر واحدة تنتشر عبر البلاد كلها في غمضة عين. وإذا كان اعتناقهم لهذه الوسيلة الجديدة أشبه بالقبضة الوحشية، فلم يكونوا بالتأكيد الوحيدين في حماسهم للوصول إلى المسافات الطويلة".[5]

---

[1]- Martin DOHERTY: "**NAZI WIRELESS PROPAGANDA**, **Lord Haw-Haw and British Public Opinion in the Second World War**", Edinburgh University Press, Edinburgh, UK, 2000, P: 88.

[2] - Paul Gordon: "**Great Britain and the Middle East**: **The rise and fall of a hegemonic power and the pursuit of eternal interests**", op, cit, P: 490.

[3] - Martin DOHERTY: "**NAZI WIRELESS PROPAGANDA**, **Lord Haw-Haw and British Public Opinion in the Second World War**", Edinburgh University Press, Edinburgh, UK, 2000, P: 126.

[4]- ibid, P: 87.

[5]- دافيد هينداي: "**الضجيج .. تاريخ إنساني للصوت والإصغاء**"، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، 2016، ص 472.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

إذا كانت أصداء الدعاية الألمانية قد وصلت أمريكا وشمال أوروبا، مستفيدة من الثورة الإلكترونية في تلك المرحلة، وأثرت في الجمهور بهذه الفضاءات الجغرافية للقارتين بتنوعها الثقافي واللساني، فإن نظيرتها في "الشمولية" السياسية إيطاليا، رمز الحكم "الموسيليني" الفاشي، أطلقت بدورها منصة بمدينة باري جنوب البلد المطل على البحر الأبيض المتوسط، واستهدفت الخط العربي الممتد من المغرب الكبير إلى الشام، حيث يمتد الاستعمارين الفرنسي والإنجليزي، لدواع توسعية وتنافسية، فتحول "التركيز على الدور الاستراتيجي للاتصالات اللاسلكية بسرعة من الاتصال إلى الدعاية. نشرت ألمانيا أجهزة إرسال قوية على أراضيها لبث خدمة إخبارية في جميع أنحاء العالم عدة مرات في اليوم. ستلتقط المحطات في نيويورك ونيوجيرسي هذا وتمريره عن طريق التلغراف إلى وكالات الأنباء المحلية المختلفة في جميع أنحاء أمريكا. ستظهر بعد ذلك النسخة الألمانية من الأحداث في مئات الصحف"[1].

لم تكن المنافسة بين الدول الغربية حول ثروات الجنوب تقتصر على الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وألمانيا فقط، بل إن جزءا كبيرا من الباحثين في تاريخ العمل الإعلامي يعزو تأسيس القسم العربي لإذاعة بي بي سي إلى مبادرة إيطاليا الموسوم نظامها بلقب "الفاشية" كانت صاحبة السبق في هذا المضمار، حيث جاء تأسيس "إذاعة باري"، الموجهة للجمهور العربي، سابقا لتاريخ إطلاق قناة "بي بي سي عربي" بأربع سنوات. فهل يمكن اعتبار ذلك صراعا حول النفوذ بالمنطقة العربية بسلاح ناعم وهو الخبر والصورة؟

أما الطرف الثاني في الصراع الدولي من أجل السيطرة وقيادة العالم، فيمثله الاتحاد السوفياتي، وهو صراع خلق نوعا من التوازان الدولي للقوى، حيث أنه في "روسيا السوفياتية، على سبيل المثال، دعم ليون تروتسكي بالفعل استخدام الراديو ((ليس لمجرد تسلية متميزة لأهالي البلدة)) ولكن بوصفه أداة حيوية لتحويل بلد شاسع يملأه الفلاحون الذين لا يستطيع كثير منهم قراءة الصحف إلى دولة شيوعية حديثة، وربما حتى لنشر الرسالة الثورية خارج حدود الدولة".[2]

إن المفارقة المثيرة هو أننا نشاهد اليوم محاكاة تامة للسياق العام الذي حكم مرحلة تأسيس القنوات الإذاعية الناطقة باللغة العربية عبر العالم والصادرة عن دول الهيمنة الغربية بمعناها العام؛ عسكريا، وثقافيا، وسياسيا، واقتصاديا ....، لأن العلاقة التي تحكم، حاليا، أغلب الدول الكبرى بالولايات المتحدة الأمريكية لم تتغير بشكل جذري عن السابق، إذ لا زالت "تتشابه المصالح الرئيسية للمملكة المتحدة بشكل ملحوظ مع مصالح ابن عمها في أمريكا الشمالية ويمكن اختزالها في ضمان السيطرة على نفط الشرق الأوسط وإمداداته والاستقرار في المنطقة. ومن أجل حماية هاتين المصلحتين الغربيتين الأساسيتين، فضلت السياسة الخارجية الغربية، وخاصة الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، منذ عام 1945 إنشاء أنظمة صديقة في المنطقة تضمن التدفق الحر للنفط إلى الاقتصادات الغربية. ولسوء الحظ، فإن العديد من هذه الأنظمة اتسمت بطبيعتها الاستبدادية والاستبدادية، وسلحتها بلداننا أيضا".[3]

في هذا الإطار، ومن خلال الاعتبارات المذكورة سابقا، والمتعلقة، في المقام الأول، بالوضع السياسي والأمني بالمنطقة العربية ودول الجوار، أسهمت في تحديد أولويات التحرير وأسلوبه بمؤسسة "**بي بي سي عربي**"، التي كانت أكبر مؤسسة إعلامية غربية تبث الأخبار عبر جغرافيا الوطن العربي منذ نهاية العقد الثالث من القرن العشرين، خاصة مع التفاعل الإنساني للرأي العام الغربي غير المسبوق مع القضايا العربية العادلة، وفي مقدمتها سردية القضية الفلسطينية، الشيء الذي يؤكد أن الثقافة كانت دائما تأتي في خيارات ثانوية لغرف الأخبار ومنتجي القصص الإنسانية، إضافة إلى إعلان نهاية البث الإذاعي واستبداله بالمنصة الإلكترونية،

---

[1]- David HENDY: "**the BBC, a century on air**", Public Affairs, New York, First US Edition, 2022, P: 9.

[2]- دافيد هينداي: "**الضجيج .. تاريخ إنساني للصوت والإصغاء**"، مرجع سابق، ص 472.

[3] - Paul Gordon: "**Great Britain and the Middle East: The rise and fall of a hegemonic power and the pursuit of eternal interests**", op, cit, P: 490.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وبالتالي انتهاء حقبة هامة من الإعلام الغربي باللغة العربية، وما شكلته من زخم إخباري كبير أسس لمدرسة عريقة من العمل الإعلامي عبر العالم.

خاتمة:

ختاما، فإن ما يعكس اختلاف الرؤية الإعلامية في التعاطي مع الشأن الثقافي بين "بي بي سي" وباقي المؤسسات الإعلامية الموجهة للمنطقة العربية، هو طبيعة العلاقة بين الجمهور الذي يستهدفه المحتوى الإعلامي الانجلو سكسوني التي تختلف عن طبيعة العلاقة بين الجمهور الذي يستهدفه محتوى إعلامي ذو مرجعية لغوية أخرى بنفس المنطقة، فلا يمكن أن نعادل، مثلا، بين اللغة الإنجليزية واللغة الألمانية، أو بين الفرنسية والإيطالية، من جهة مساهمة كل واحدة منها في الإنتاج البشري في مختلف المجالات، وذلك لاعتبارات كثيرة، منها ما هو سياسي، وتاريخي، وما هو ثقافي وحضاري ... إضافة إلى عوامل أخرى يتداخل فيها النسق الاجتماعي المهيمن في علاقته بالاختيارات السياسية الاستراتيجية، باستحضار السياق التاريخي، على اعتبار أن العلاقات الموسعة بين الثقافات دائما ما تتأثر بالتحولات الجيوسياسية وبعلاقة الأنا بالآخر.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المراجع والمصادر:

✓ **المراجع باللغة العربية:**

- دافيد هينداي: "الضجيج .. تاريخ إنساني للصوت والإصغاء"، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، 2016.
- كلير كرامش: "**اللغة والثقافة**"، ترجمة أحمد الشيمي، منشورات وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، الطبعة 1، 2010.
- نبيل علي: "**الثقافة العربية وعصر المعلومات**، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي"، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد **265**، بتاريخ: يناير 2001.

✓ **المراجع الأجنبية:**

- David HENDY: "**the BBC**, **a century on air**", Public Affairs, New York, First US Edition, 2022.
- Houcine MSADDEK: "**BBC Arabic (1938–1995): Soft Power or Reithian Practice Abroad?**", Centre de recherche et d'études en civilisation britannique, mise en ligne le: 05 Décembre 2020, version Electronique: https://journals.openedition.org/rfcb/7056, visite le: 05 Janvier 2022.
- Martin DOHERTY: "**NAZI WIRELESS PROPAGANDA**, **Lord Haw-Haw and British Public Opinion in the Second World War**", Edinburgh University Press, Edinburgh, UK, 2000.
- Paul GORDON: "**Great Britain and the Middle East**: **The rise and fall of a hegemonic power and the pursuit of eternal interests**", revue numerique (pdf): https://www.researchgate.net/publication/364234819, "Institute of Humanities", Université San Pablo, Espagne, Date d'édition: 28-Oct-2018, date de téléchargement: 05/04/2023.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/